منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

كانت الخلافة من أهم الأمور التي فرقت صفوف العرب والمسلمين ، ذلك لأن الخليفة هو الذي يتولى أمور المسلمين الدينية والدنيوية . وهذا مقام رفيع دونه كل مقام في الإسلام يطمع فيه القوي . وقد تطاحنت الأسر القرشية في سبيلها منذ صدر الإسلام . وحاول كل حزب أن يجعل له صبغة دينية يقوى مركزه بها بين الأحزاب المعارضة ، فظهر في الإسلام فرق وطوائف عديدة كان الكثير منها دعوة دنيوية ولكنها تسير تحت ستار من الدين . وبعد القضاء على الحركة تبقى صبغتها الدينية بين أتباعها وتستحيل إلى مذهب ديني . وعلى مر الدهور يتطور هذا المذهب ويدخله الأساطير والتعاليم الشاذة . ولربما استحال إلى دعوة هدامة أو مذهب مقال أو فرقة باطنية منفصلة عن الإسلام . والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى الكثير من هذا . فحركات الخوارج ، وحركة المختار الثقفي ، والقرامطة ، والفاطمية والدروز ، والنصيرية ، كلها نشأت وتطورت على هذا المنوال

وأصل اليزيدية فرقة إسلامية أموية سارت باسم الدين إلى مناصرة بني أمية في الخلافة والدفاع عنهم وتأولت « آل البيت » — أقوى حزب ناضل الأمويين — وعلى مر العصور تطورت إلى فرقة صوفية « عدوية » على يد رجل أموي ، ففرقة مغالية في حب « يزيد بن معاوية » ، ففرقة خارجة عن الإسلام . كل ذلك كان في سبيل الخلافة وإرجاعها إلى بني أمية بعد سقوط دولتهم في الشرق

إن أقوى نزاع شهده العالم الإسلامي على الخلافة هو النزاع بين العلويين والأمويين . ذلك لأن العداوة بين بني أمية وبني هاشم قديمة . ففي الجاهلية تنازعوا على زعامة مكة . وفي الإسلام تجدد النزاع على الخلافة بعد مقتل « عثمان » فشق على الحزب الأموي أن تخرج الخلافة منهم بعد أن نالوها . خاصة وأن « الإمام علياً » عزل ولاة « عثمان » فهل يرضى « معاوية » أن يترك « الشام » وما فيها من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعد أن حكمها عشرين عاماً ؟ أنكر بيعة « علي » ودعا لنفسه واستعمل دهاءه وكرمه في جلب دهاة العرب إليه فقوى أمره ، وبعد مقتل الإمام « علي » تنازل « الحسن » عن الخلافة وصار الحزب الأموي هو الحاكم المطلق في الدولة

ولم يكن « معاوية » بالخليفة المستضعف ، بل ساس الناس بحلمه وجوده . فعفا عن المذنب وتجاوز عن المسيء وأغدق عطاياه على كل قاصد ، كما سل سيفه على من لم تنفع معه هذه الطرق ، فانقاد له الناس راغبين أو راهبين

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه « يزيد » على كره من أولاد الصحابة فثارت الأحزاب المعارضة ، وأشدها الحزب العلوي فكانت فاجعة « كربلاء » التي أججت الأحقاد ؛ واستمرت الثورات العلوية حتى انقراض الدولة الأموية وكانت هذه الثورات من أهم العوامل التي قوضت أركان الدولة

وبعد سقوط الدولة الأموية انعكست الآية فانتقم العباسيون من الأمويين شر انتقام ، حتى الأموات فإنهم لم يخلصوا من التمثيل بهم . وصار الحزب الأموي هو المستضعف في البلاد . وأخذ الأمويون يلجأون إلى الجبال والأماكن النائية عن النفوذ العباسي . ولكنهم لم يعدموا الأنصار ، كما أنهم لم ييأسوا من الخلافة ، بل أحيوا النعرة الدينية التي كانت لحزبهم وأخذوا يزيدون عليها . وتراهم قد قلدوا العلويين أو من قام باسمهم في ادعاءاتهم هذه . وهذه النعرة الدينية لحزبهم كانت منذ أول عهدهم بالخلافة تسير أثر الدعوة العلوية ؛ ولكن الأمويين خلال حكمهم لم يهتموا بها لاعتمادهم على بطشهم ونفوذهم . وأما بعد سقوط دولتهم فإنهم صاروا مستضعفين في الأرض فتدرعوا بالدين ليستروا تحته دعوتهم للدنيا . وهذا أول ظهور الطائفة اليزيدية .

ومن الأدلة التي تثبت أن أصل العقيدة اليزيدية هي حركة أموية مضادة لآل البيت :

١ — يوم عاشوراء : في هذا اليوم قتل « الحسين » عليه السلام فهو يوم كرب وبلاء على العلويين يظهرون فيه من العزاء والنياحة والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا نشاهد مثله في غيره من الأيام . ونجد الضد من هذا عند الأمويين ، فإن الحجاج سن لأهل « الشام » أن يتخذوا هذا

اليوم يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلوى ، ويتخذون الأوانى الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ليرغموا بذلك شيعة « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه . واستمر الأمر على ذلك عند الحزب الأموى بعد سقوط دولتهم ، وهذا ما نراه عند اليزيدية فإنهم يتخذون هذا اليوم يوم سرور يخرجون زينتهم إلى ظاهر قراهم ويرقصون رقصاتهم الشعبية على ضرب الطبول ونقر الدفوف ، ويمرحون ويلعبون ؛ ويصورون تماثيل من الطين لشهداء كربلاء يهجمون عليها برماحهم ويفتكون بها ويطؤونها بخيولهم . كل ذلك لأن إلههم « يزيد » ظفر بعدوه « الحسين » فى هذا اليوم وقتله .

٢ — المهدى المنتظر والسفياني المنتظر : يعتقد الشيعة أن المهدى المنتظر سيظهر فى آخر الزمان وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وادعى الأمويون مقابل هذا : أنه سيظهر من أولاد أبى سفيان من يكون أمره كأمر « المهدى المنتظر » وهو « السفياني المنتظر » . وزاد تعلق الأمويين بهذا الادعاء بعد سقوط دولتهم فصاروا يترقبون ظهوره . وقد ذكر « المسعودى » أنه وجد ببلاد « طبرية » من بلاد الأردن فى سنة ٣٢٤ هـ أحد علمائهم وقد ألف كتاباً بهذا وأنه ذكر فيه « من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفياني فى الوادى اليابس من أرض الشام ، وإنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف الخ ... » وهذا ما نجده عند اليزيدية ، فإنهم يعتقدون أن « عدياً » وهو رجل أموى سيظهر فى آخر الزمان وسيكون أمره كما تقدم ، ويسميه بعضهم بالمهدى . وعندهم طبقة دينية يسمون « خدام المهدى »

٣ — يذهب الحزب العلوى أن « علياً » وأولاده أحق بالخلافة وأن الحسين قتل مظلوماً . وبالضد من هذا يدعى الأمويون أنهم أحق بالخلافة وأن الحسين قتل بسيف الحق لأنه خرج على الإمام المبايع . وأخذ كل فريق يعزز مدعاه ويغالى فى تعظيم الذى يدعو إليه ، ويحاول أن ينقص من قيمة الحزب المعارض . وما زال هذا الأمر والمغالاة تزداد عند الفريقين حتى أدى إلى أن تعتقد بعض الفرق الغالية أن علياً أحق بالنبوة من محمد ، وأن البعض الآخر ذهب إلى أعظم من هذا ، فادعى ألوهيته . وكذا الأمر فى « يزيد » فإن مناصريه ادعوا أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً ، وأنه كان من الصحابة بل من أكابر الصحابة ، وأنه كان من أولياء الله تعالى ، ثم اعتقدوا أنه كان من الأنبياء وقالوا « من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم » ، ثم ذهبوا إلى أعظم من هذا فقالوا بألوهيته . وهذا ما يعتقده اليزيدية أن « يزيد بن معاوية » هو إلههم . ونجد قرى « الشبك » والتركمان ، والصارلية ، والجيجية حول الموصل ، والبابوات فى قضاء سنجار ، وهم الذين يغالون فى « الإمام على » على مقربة من مواطن اليزيدية الذين يؤلهون « يزيد بن معاوية »

٤ — اللعن : بعد أن خدع « عمرو بن العاص » « أبا موسى الأشعرى » فى مؤتمر « اذرح » صار « الإمام على » يلعن معاوية وعمراً ومن والاهما بعد كل صلاة ، وقابله معاوية بالمثل . وبعد مقتل « الإمام على » استمر الأمويون يلعنون أبا تراب بعد خطبة صلاة الجمعة . ولما تولى « عمر بن عبد العزيز » الخلافة رفع هذه السنة السيئة ووضع مكانها « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية » ، ولكن بعض أنصار الحزب الأموى المغالين لم ينتهوا عن هذا . فأهل « حرّان » امتنعوا عن الصلاة وقالوا : « لا صلاة إلا بلعن أبى تراب » واستمروا على ذلك ، حتى ظهور الدعوة العباسية . وكان العلويون يقابلون هذا اللعن بأكثر منه ، وزادوا فيه بعد واقعة « كربلاء » ، وصار اللعن يوجه بصورة خاصة إلى « يزيد » . أما الشيخ « عدى » فإنه لما رأى تفاقم الأمر عند الفريقين ، وأن هذا مناف للتعاليم الإسلامية ، وأن من الصعب أن يكف أحد الحزبين عن لعن الآخر ، حرم اللعن مطلقاً . ولكن الفكرة تطورت إلى أبعد من هذا عند اليزيدية ، فإنهم حرموا اللعن حتى على الشيطان . ومع أن اللعن صار من المحرمات عندهم ؛ فإن يزيدية (جبل مقلوب) استمروا على الطعن فى على وأولاده فى أيام الجمعة والعيدين ، كما كانت عليه العادة فى الدولة الأموية . وكان فيهم فرقة مغالية جداً فى اللعن تقف مصلتة السيوف وتلعن « علياً » وأولاده ، ويقال لهم « السيّافة » واستمر الأمر على ذلك إلى القرن الحادى عشر الهجرى

(للحديث صلة)

سعيد الديوه جى
بالموصل